الدينـــوري

قباذ وأنوشروان

فلما مضى لملك قباذ عشر سنين أتاه رجل من أهل اصطخر يقال له مزدك فدعاه إلى دين المزدكية فمال قباذ إليها فغضبت الفرس من ذلك غضباً شديداً وهمّوا بقتل قباذ فاعتذر إليهم فلم يقبلوا عذره وخلعوه من الملك وحبسوه في محبس ووكلوا به وملكوا عليهم جاماسف بن فيروز أخا قباذ. وأن أخت قباذ اندست لقباذ حتى أخرجته بحيلة فمكث أياماً مستخفياً إلى أن أمن الطلب. ثم خرج في خمسة نفر من ثقاته فيهم زَرْمهر بن شوخر نحو الهياطلة يستنصر ملكها فأخذ طريق ا لأهواز فانتهى أرمشير ثم صار إلى قرية في حد الأهواز واصبهان فنزلها متنكراً وكان نزوله عند دهقانها فنظر قباذ إلى بنت لصاحب منزله ذات جمال فوقعت بقلبه فقال لزمهر بن شوخر: إني قد هويت هذه الجارية ووقعت بقلبي فانطلق إلى أبيها فاخطبها علي ففعل فأرسل قباذ إلى الجارية بخاتمه وجعل ذلك مهرها، فُهيِّئت وأدخلت عليه فخلا بها قباذ وسُرَّ بها سروراً شديداً لما ألفاها ذات عقل وجمال وأدب وهيئة، فأقام عندها ثلاثاً ثم أمر بحفظ نفسها وخرج سائراً حتى ورد على صاحب الهياطلة، فشكى إليه صنيع رعيته به وسأله أن يمده بجيش ليسترجع ملكه فأجابه إلى ذلك وشرط عليهم أن يسلم له حيز الصغانيان ووجه معه بثلاثين ألف رجل، فأقبل بهم يريد أخاه فأخذ على طريقه الذي شخص فيه بديئاً حتى نزل القرية التي تزوج فيها بتلك المرأة فنزل على أبيها وسأله عنها فأخبره أنها ولدت غلاماً فأمر بإدخالها عليه مع

ابنها فدخلت فدخل إلى الغلام فابتهج به ورآه كأجمل ما يكون من الغلمان فسماه كسرى وهو كسرى أنو شروان الذي تولى الملك من بعده، فقال لزرمهر: اخرج فسل لي عن هذا الرجل أبي الجارية هل له قديم شرف، فسأل عنه فأخبر أنه من ولد فريدون الملك، ففرح بذلك قباذ وأمر بالجارية وابنها فحُملا معه. ولما انتهى إلى مدينة طيسفون تلاومت العجم فيما بينها وقالوا: إن قباذ تنصل إلينا من شأن مزدك ورجع عما كنا اتهمناه فلم نقبل ذلك منه وظلمناه حقه وأسأنا إليه فخرجوا إليه جميعاً وفيهم جاماسف أخوه الذي ملكوه فأعتذروا إليه فقبل ذلك منهم وصفح عن أخيه جاماسف وعنهم وأقبل فدخل قصر المملكة ووصل الجيش ا لذي أقبل بهم وأجازهم وأحسن إليهم وردهم إلى ملكهم وأمر بالجارية فأنزلت في أفضل مساكنه. ثم إن قباذ تجهز وسار في جنوده غازياً بلاد الروم فافتتح مدينة آمد وميافارقين وسبى أهلها، وأمر فبُنيت لهم مدينة فيما بين فارس والأهواز فأسكنهم فيها وسماها أبر قباذ وهي أستان الأعلى وجعل لها أربعة طساسيج طسوج الأنبار وكان منها هيت وعانات، فضمها يزيد بن معاوية حين ملك إلى الجزيرة، وطسّوج بادُورَيَا وطسّوج مَسْكن، وكوَّر كورة بهْقُباذ الأوسط وبهقباذ الأسف وضم إليه ثمانية طساسيج لكل كورة أربعة طساسيج وهي الستانات، وشق كورة أصبهان كورتين شق جي وشق التيمرة.

وكان لقباذ عدة من الأولاد لم يكن فيهم آثر عنده من كسرى لاجتماع الشرف فيه غير أنه كانت به ظنة، أي سيء الظن، فلم يكن قباذ يحمده عليها، فقال له ذات يوم: يا بُني قد كملت فيك الخصال التي هي جماع أمور الملك غير أن بك ظنة وإن الظنة في غير موضعها داعية الأوزار ومحبطة للأعمال فاعتذر كسرى لأبيه مما وقع في قلبه من ذلك واستصلح نفسه عنده.

فلما أتى لملك قباذ ثلث وأربعون سنة حضره الموت ففوض إلى ابنه كسرى وهو انو شروان فملك بعد أبيه، وأمر بطلب مزدك بن مازيّار الذي زين للناس ركوب المحارم فحرّض بذلك السَّفَل على ارتكاب السيئات وسهل للغصبة الغصب، وللظَّلمة الظلم، فطلب حتى وُجد فأمر بقتله وصَلْبه وقَتْل من دخل في ملَّته. ثم قسم كسرى المملكة أربعة أرباع وولى كل رُبع رجلاً من ثقاته، فأحد الأرباع خراسان وسجستان وكرمان، والثاني: إصبهان وقُم والجبل وأذربيجان وأرمينية، والثالث: فارس والأهواز إلى البحرين، والرابع: العراق إلى حد مملكة الروم، وبلغ بكل رجل من هؤلاء الأربعة غاية الشرف والكرامة. ووجه الجيوش إلى بلاد الهياطلة وافتتح تُخارستان و زابُلَستان وكابلستان والصغانيان. وإن ملك الترك سنْجبُو خاقان جمع إليه أهل المملكة واستعد وسار نحو أرض خراسان حتى غلَب على الشاش وفرغانه وسمرقند وكشّ ونَسَف وانتهى إلى بُخارى وبلغ ذلك كسرى فعقد لأبنه هرمز، الذي ملك من بعده، على جيش كثيف ووجهه لمحاربة خاقان التركي فسار حتى إذا قرب منه خلى ما كان غلب عليه ولحق ببلاده فكتب كسرى إلى ابنه هرمز بالانصراف.

قالوا: وإن خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر، وهو المنذر الأخير وكانا منذرين ونعمانين فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور، والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنو شروان وكانوا عمال كسرى على تخوم أرض العرب، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة واستاق إبل المنذر وخيله فكتب المنذر إلى كسرى يخبره بما ارتكب منه خالد بن جبلة فكتب كسرى إلى قيصر أن يأمر خالداً بإقادة المنذر وما قتل من أصحابه ورد ما أخذ من أمواله فلم يحفل قيصر بكتابه فتجهز كسرى لمحاربته فسار حتى وغل في بلاد الجزيرة

وكانت إذ ذاك في يد الروم فاحتوى على مدينة دارا ومدينة الرها ومدينة قنسرين ومدينة منبج ومدينة حلب حتى انتهى إلى إنطاكية فأخذها وكانت أعظم مدينة بالشام والجزيرة وسبى أهلها أهل إنطاكية وحملهم إلى العراق. وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جانب طيسفون على بناء مدينة انطاكية بأزقتها وشوارعها ودورها لا يغادر منها شيئاً وسماها زَبر خَسرو وهي المدينة التي إلى جانب المدائن تُسمى الرومية ثم سُرِّحوا فيها فانطلق كل إنسان منها إلى مثل داره بمدينة إنطاكية وولى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الأهواز يقال له يَزْدَفناه. وإن قيصر كتب إلى كسرى يسأله الصلح ورد ما احتوى عليه من هذه المدن على أن يؤدي إليه ضريبة موظفة عليه في كل عام وكره كسرى البغي فأجابه إلى ما بذل ووكَّلَ بقبضه وتوجيهه إليه في كل عام شَرْوين الدَّستباي فأقام مع ملك الروم هناك ومعه خُرّين مملوكه المشهور الخبر وكان نجداً فارساً بطلاً. ولما قفل كسرى من أرض الشام أصابه مرض شديد فمال إلى مدينة حمص فأقام بها في جنوده إلى أن تماثل، فكان قيصر يحمل إليه كفاية عسكره إلى أن شخص.

قالوا: وكانت ملوك الأعاجم يضعون على غلات الأرضين شيئاً معروفاً من المقاسمات النصف والثلث والربع والخمس إلى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاة والريع، فَهَمَّ قباذ بإسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل أن يستتم المساحة. فأمر كسرى أنو شروان باستتمامها فلما فرغ منها أمر الكتاب ففصَّلوها ووضعوا عليها الوضائع ووظَّف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والأساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك ولم يلزم أحداً لم يأت له عشرون سنة أو جاوز الخمسين، وكتب تلك الوضائع في ثلاث نسخ: نسخة خلدها ديوانه ونسخة بعث بها إلى ديوان

الخراج ونسخة دُفعت إلى القضاة في الكور ليمنعوا العمال من اعتداء ما في الدستور الذي عندهم، وأمر أن يُجبى الخراج في ثلثة أنجم، وسمى الدار التي يجبى فيها ذلك سَراي سَمَرّه، وتفسيره دار الثلاثة أنجم، وهي التي تعرف بالشمَرَّج اليوم، وقد قيل في تفسير ذلك غير هذا، أي إنما هي دار الحساب والحَساب شَمَرّه وهذا كلام معروف في لغة فارس إلى اليوم يسمون الخراج الشمَرّه بالشين على معنى الحساب، ورفع خراج الرؤوس عن الفقراء والزمنى وكَذلك خراج الغلات رفعه عما نالته الآفة على قدر ما أصاب منها، ووكل بكل ذلك قوماً ثقات ذوي عدالة يُنفذونه ويحملون الناس معه على النصفة.

ولم يكن في ملوك العجم ملك كان أجمع لفنون الأدب والحكم ولا للعلم منه، وكان يقرب أهل الآداب والحكمة ويعرف لهم فضلهم. وكان أكبر علماء عصره بُزُرجمَهْر ابن البَخْتكان وكان من حكماء العجم وعقلائهم، وكان كسرى يفضله على وزرائه وعلماء دهره. وكان كسرى ولى رجلاً من الكُتَّاب نبيهاً معروفاً بالعقل والكفاية يقال له: بابك بن النهروان ديوان الجند، فقال لكسرى: أيها الملك إنك قد قلدتني أمراً من صلاحه أن تحتمل لي بعض الغلظة في الأمور، عَرْضَ الجنود في كل أربعة أشهر وأخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة المؤدبين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالفروسية والرمي والنظر في مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم، فإن ذلك ذريعة إلى إجراء السياسة مجاريها، فقال لكسرى: ما المجاب بما قال بأحظى من المجيب لاشتراكهما في فضله وانفراد المجيب بعد بالراحة فحقق مقالتك، وأمر فبنيت له في موضع العرض مصطبة وبسط له عليها الفرش الفاخرة، ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضر للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فأمرهم

فانصرفوا، وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فانصرفوا، فنادى في اليوم الثالث أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسرير فإنه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة، وبلغ كسرى ذلك فتسلح سلاحه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي يؤخذ به الفارس تجفافاً ودرعاً وجوشناً وبيضة ومغفراً وساعدين وساقين ورمحاً وترساً وجُرزاً يلزمه منطقته وطبرزينا وعموداً وجعبة فيها قوسان بوترهما وثلثين نشابة ووترين ملفوفين يعلقهما الفارس في مغفره ظهرياً، فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما فلم يُجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما في مغفره واعترض على بابك فأجاز على اسمه وقال لسيد الكماة أربعة آلاف درهم ودرهم وكان أكثر من له الرزق أربعة آلاف درهم ففضل كسرى بدرهم، فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال: أيها الملك لا تلمني على ما كان من إغلاظي فما أردتُ به إلا الدُربة للمعدلة والأنصاف وحسم المحاباة، قال كسرى: ما غلظ علينا أحد فيما يريد به إقامة أودنا أو إصلاح ملكنا إلا احتملنا له غلظته كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجو من منفعته.

قالوا: وكانت كسكر كورة صغيرة فزاد كسرى أنوشروان فيها من كورة بَهُرَسير وكورة هُرْمزد خُرَّه وكورة ميسان فوسعها بذلك وجعلها طَسّوجين طسوج جنديسابور وطسوج الزندَوَرْد، وكَوّر بجوخي كورة خُسروماه وجعل لها ستة طساسيج طسوج طيسفون وهي المدائن وطيسفون قرية على دجلة أسفل من قباب حُميد بثلاث فراسخ يقال لهما بالنبطية طيسفونج وطسوج جازر وطسوج كلواذي وطسوج نهر بوق وطسوج جلولا وطسوج نهر الملك.

(الأخبار الطوال ص٦٠-٧٥)

الدعوة العباسية

قالوا: وفي ذلك العام (١٠١هـ) توفدت الشيعة على الإمام محمد بن علي عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هشام، وكان مستقره بأرض الشام بمكان يسمى الحميمة، وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدي وأبو عكرمة السراج ومحمد بن خُنيس وحيان العطار، فقدم هؤلاء عليه فأرادوه على البيعة وقالوا له: أبسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان لعل الله أن يُحيي بك العدل ويميت بك الجور فإن هذا وقت ذلك وأوانه الذي وجدناه مأثوراً عن علمائكم، فقال لهم محمد بن علي: هذا أول ما نؤمل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة سنة من التاريخ فإنه لم تنقض مائة سنة على أمة قط إلا أظهر الله حق المحقين وأبطل باطل المبطلين لقول الله جل اسمه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ فانطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر فإني أرجو أن يُتم الله أمركم ويظهر دعوتكم ولا قوة إلا بالله. ثم وجه ميسرة العبدي ومحمد بن خنيس إلى أرض العراق، ووجه أبا عكرمة وحيان العطار إلى خُراسان، وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبدالعزيز بن الحكم بن أبي العاص فجعلا يسيران في أرض خراسان من كورة إلى أخرى فيدعوان الناس إلى بيعة محمد بن علي ويزهدانهم في سلطان بني أمية لخبث سيرتهم وعظيم جورهم، فاستجاب لهما بخراسان أناس كثير وفشا بعض أمرهم وعلن، فبلغ أمرهما سعيداً فأرسل إليهم فأتي بهم فقال: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم تجار، قال: فما هذا الذي يذكر عنكم؟ قالوا: وما هو؟ قال: أخبرنا أنكم جئتم دعاة لبني العباس، قالوا: أيها الأمير لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا، فأطلقهم. فخرجا من عنده

وارتحلا من مرو فجعلا يدوران كور خراسان ورساتيقها في عداد التجار فيدعوان الناس إلى الإمام محمد بن علي فمكثا بذلك عامين، ثم قدما على الإمام محمد بن علي بأرض الشام فأخبراه أنهما قد غرسا بخراسان غرساً يرجوان أن يثمر في أوانه وألفياه قد ولد له أبو العباس ابنه فأمر بإخراجه إليهم، قال: هذا صاحبكم فقبلوا أطرافه كلها. وكان مع الجنيد بن عبدالرحمن عامل السند رجل من الشيعة يسمى كبير بن ماهان فانصرف إلى موطنه من الكوفة، وقد أصاب بأرض السند مالاً كثيراً، فلقيه ميسرة العبدي وابن خُنيس واخبراه بامرهما وسألاه أن يدخل في الامر معهما فأجابهما إليه وقام معهما وأنفق جميع ما استفاد بأرض السند من الأموال بذلك السبب، ومات ميسرة بأرض العراق وكتب الإمام محمد بن على إلى بكير بن ماهان أن يقوم مقام ميسرة. وكان بكير يكنى بأبي هاشم وبها كان وكان يعرف في الناس، وكان رجلاً مفوهاً فقام بالدعاء وتولى الدعوة بالعراقين. وكان كتب الإمام تأتيه فيغسلها بالماء ويعجن بغُسالتها الدقيق ويأمر فيختبر منه قرص فلا يبقى أحد من أهله وولده إلا أطعمه منه. ثم إنه مرض مرضه الذي مات فيه فأوصى إلى أبي سلمة الخلال، وكان أيضاً من كبار الشيعة، وكتب إلى الإمام يعلمه ذلك فكتب محمد بن علي إلى أبي عكرمة وحيان وكان صاحب الأمر بخراسان يأمرهما أن يكاتبا أبا سلمة وينتهيا إلى أمره ورأيه. وكان يقطين والوليد بن الأزرق صديقين لأبي سلمة فدعاهما إلى الدخول معه في أمره فأجاباه ودخلا معه وكانفاه.

ثم إن يزيد بن عبدالملك عزل أخاه مسلمة عن العراق وخراسان واستعمل مكانه خالد بن عبدالله القسري، واستعمل خالد أخاه أسد بن عبدالله على خراسان، فانتهى خبر أبي عكرمة وحيان إلى أسد بن عبدالله فأمر بطلبهما

فأخذا وأتي بهما فضربت أعناقهما وصُلبا، وبلغ ذلك محمد بن علي فقال: الحمد لله الذي صحح هذه العلامة وقد بقي من شيعتي رجال سوف يفوزون بالشهادة.

فلما تم لملك يزيد بن عبدالملك أربع سنين وأشهر توفي بالبلقاء من أرض دمشق وكانت وفاته سنة خمس ومائة، وله يوم مات ثمان وثلاثون سنة، ثم استُخلف هشام بن عبدالملك وهو ابن أربع وثلاثين سنة فعزل أسد بن عبدالله عن خراسان وولاها الجنيد بن عبدالرحمن وكان رجلاً من اليمانية ذا فضل وسخاء وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ذهب الجود والجنيد جميعاً فعلى الجود والجنيد السلام

ولما قتل أبو عكرمة وحيان، وجه الإمام محمد بن علي إلى خراسان خمسة نفر من شيعته: سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وموسى بن كعب، وخالد ابن الهيثم، وطلحة بن زريق، وأمرهم بكتمان أمرهم وأن لا يفشوه إلى أحد إلا بعد أن يأخذوا عليه العهود الموكدة بالكتمان. فساروا حتى أتوا خراسان فكانوا يأتون كورة بعد كورة فيدعون الناس سراً إلى أهل بيت نبيهم ويبغضون إليهم بني أمية لما يظهر من جورهم واعتدائهم وركوبهم القبائح حتى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان، وبلغ الجنيد أمرهم فأمر بطلبهم وأخذوا وأتي بهم الجنيد فقال: يا فسقة قدمتم هذه البلاد فأفسدتم قلوب الناس على بني أمية ودعوتم إلى بني العباس، فتكلم سليمان بن كثير وقال: أيها الأمير أتأذن لي في الكلام؟ قال: تكلم، قال: أنا وإياك كما قال الشاعر:

لو بغير الماء حلقي شرِقٌ لا ستغثتُ اليوم بالماء القراح

نعلمك أيها الأمير أنا أناس من قومك اليمانية وأن هؤلاء المضرية تعصبوا علينا فرقوا إليك فينا الزور والبهتان لأنّا كنا أشد الناس على قتيبة فهم الآن يطلبون بثأره بكل علة، فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه: ما ترون؟ فتكلم عبدالرحمن بن نعيم رئيس ربيعة وكان من خاصته: نرى أن تمن بهم على قومك فلعل الأمر كما يقولون، فأمر بإطلاقهم فخرجوا وكتبوا بقصتهم إلى الإمام، فكتب إليهم أن هذا أقل ما لكم فاكتموا أمركم وترفقوا في دعوتكم. فساروا من مدينة مرو إلى بخارا ومن بخارا إلى سمرقند ومن سمرقند إلى كش ونسف ثم عطفوا على الصغانيان وجازوا منها إلى خُتلان وانصرفوا إلى مرورود الطالقان وعطفوا إلى هراة وبُوشنج وجازوا إلى سجستان، فغرسوا في هذه البلاد غرساً كثيراً وفشا أمرهم في جميع أقطار خراسان. وبلغ ذلك الجنيد فأسف على تركهم ووجه في طلبهم فلم يقدر عليهم، فكتب إلى خالد بن عبدالله القسري وكان على العراق يُعلمه انتشار خراسان وما حدث فيها من الدعاة إلى محمد ابن علي، فكتب خالد بن عبدالله إلى هشام يعلمه بذلك فكتب إليه هشام يأمره بالكتاب إلى الجنيد ألا يرغب في الدمار وأن يكف عمن كف عنه ويسكن الناس بجهده وأن يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى يجدهم فينفيهم، فلما انتهى ذلك إلى الجنيد بعث رسله في أقطار خراسان وكتب إلى عماله في الكور بطلب القوم فطلبوا فلم يدرك لهم أثر.

قالوا: وكان بدء أمر أبي مسلم أنه كان مملوكاً لعيسى ومعقل ابني إدريس بن عيسى العجليين، وكان مسكنهما بماه البصرة مما يلي أصبهان، وكان أبو مسلم ولد عندهما فنشأ غلاماً فهماً لقناً أديباً ذهناً فأحباه حتى نزل منهما منزلة الولد، وكان يتوليان بني هاشم ويكاتبان الإمام محمد بن علي، فمكثا بذلك ما شاء

الله. ثم إن هشاماً عزل خالد بن عبدالله القسري عن العراق وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، فكان يوسف بن عمر لا يدع أحداً يعرف بموالاة بني هاشم ومودة أهل بيت رسول الله إلا بعث إليه فحبسه عنده بواسط. فبلغه أمر عيسى ومعقل ابني إرديس فأشخصهما وحبسهما بواسط فيمن حبس من الشيعة، وكانا أخرجا معهما أبا مسلم فكان يخدمهما في الحبس. وأن سليمان ابن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ، وهم كانوا الدعاة بخراسان، قدموا للحج وقدم معهم قحطبة بن شبيب وكان ممن بايعهم وشايعهم على أمرهم فجعلوا طريقهم على مدينة واسط ودخلوا الحبس فلقوا من كان فيه من الشيعة فرأوا أبا مسلم فأعجبهم ما رأوا من هيئته وفهمه واستبصاره في حب بني هاشم، ونزل هؤلاء النفر بعض الفنادق بواسط فكان أبا مسلم يختلف إليهم طول مقامهم حتى أنس بهم وأنسوا به فسألوه عن أمره فقال: إن أمي كانت أمة لعُمير بن بُطين العجلي فوقع عليها فحملت بي فباعها وهي حامل فاشتراها عيسى ومعقل ابنا إدريس فولدت عندهما فأنا كهيئة المملوك لهما. ثم إن النفر شخصوا من واسط وأخذوا نحو مكة على طريق البصرة فوصلوا إلى مكة وقد وافاها الإمام محمد بن علي حاجاً فلقوه وسلموا عليه وأخبروه بما غرسوا في جميع خراسان من الغرس ثم أخبروه بمرهم بواسط ودخولهم على إخوانهم المحبسين بها ووصفوا له صفة أبي مسلم وما رأوا من ذكاء عقله وفهمه وحسن بصره وجودة ذهنه وحسن منطقة، فسألهم أحر هو أم مملوك، فقالوا: أما هو فيزعم أنه ابن عُمير بن بُطين العجلي كانت قصته كيت وكيت ثم فسروا له ما حكى لهم من أمره، فقال: إن الولد تبع للأم فإذا انصرفتم فاجعلوا ممركم بواسط فاشتروه وابعثوا به إلى الحميمة من أرض الشام لأجعله الرسول فيما

بيني وبينكم على أني لا أحسبكم تلقوني بعد عامي هذا فإن حدث بي حدث فصاحبكم ابني هذا، يعني إبراهيم، فاستوصُوا به خيراً فإنه سأوصيه بكم خيراً. فانصرف القوم نحو خراسان ومروا بواسط ولقوا عيسى ومعقل ابني إدريس فأخبروهما بحاجة الإمام إلى أبي مسلم وسألوهما بيعه منهم، فزعموا أنهما وهباه له، فوجه به القوم إلى الإمام، فلما رآه تفرس فيه الخير ورجا أن يكون هو القيم بالأمر لعلامات رآها فيه قد كانت بلغته، فجعله الرسول فيما بينه وبينهم فاختلف إليهم مراراً كثيرة.

ثم توفي الإمام محمد بن علي فقام بالأمر بعده ابنه إبراهيم بن محمد، وكان أكبر ولده، فأمر أبا مسلم أن يسير إلى الدعاة بالعراق وخراسان فيعلمهم وفاة الإمام وقيامه بالأمر من بعده، فسار حتى وافى العراق ولقي أبا سلمة ومن كان معه من الشيعة فأخبرهم بما أمره به ثم سار إلى خراسان ولقي الدعاة بها فأخبرهم بذلك وبلغ وفاة الإمام جميع من بايع في أقطار خراسان فسودوا ثيابهم حُزناً لمصابه وتسلباً عليه، وكان أول من سود منهم ثيابه حُريش مولى خزاعة وكان عظيم أهل نسا ثم سودها من بعده قحطبة بن شبيب ثم سود القوم جميعاً.

وكثرت الشيعة بخراسان كلها وعلن أمرهم. وكتب يوسف بن عمر - وكان على العراقين- إلى هشام يخبره بذلك فكتب هشام إلى يوسف يأمره أن يبعث إليه رجلاً له علم بخراسان ومعرفة بمن فيها من قوادها وجنودها. وقد كان يوسف بن عمر عزل عنها الجنيد بن عبدالرحمن واستعمل عليها جعفر بن حنظلة البهراني فكتب جعفر إلى يوسف بن عمر مع عبدالكريم بن سليط بن عطية الحنفي يخبره بتفاقم أمر المسودة بخراسان وكثرة من أجاب الدعاة بها،

فلما أتاه كتاب هشام يأمره أن يوجه إليه رجلاً له علم بخراسان حمل عبدالكريم ابن سليط إليه على البريد. قال عبدالكريم فسرت حتى وافيت دمشق فدخلت علي هشام فسلمت عليه بالخلافة، فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا عبدالكريم بن سليط بن عطية الحنفي، قال: كيف علمك بخراسان وأهلها؟ قلت: أنا بها جد عالم، ثم أخبرته أن وجهي كان منها بكتاب أميرها جعفر بن حنظلة الهراني إلى يوسف بن عمر يخبره بما حدث فيها، قال: إني أريد أن أولي أمرها رجلاً من القواد الذين هم مرتبون بها فمن ترى أن أولي امرها من همو أيهم أقوم بها؟ قال عبدالكريم وكان هواي في اليمانية فقلت: يا أمير المؤمنين أين أنت عن رجل من قوادها ذي حزم وبأس ومكيدة وقوة ومكانفة من قومه، قال: ومن هو؟ قلت: جديع بن علي الأزدي المعروف بالكرماني، قال: وكيف سمي الكرماني؟ قلت: ولد بكرمان، كان أبوه من المهلب عند محاربة الأزارقة فولد هذا هناك، قال لا حاجة لي في اليمانية، وكان هشام يبغض اليمانية وكذلك سائر بني أمية... قلت: فأين أنت من العفيف المجرب الباس المحنك نصر بن سيار الليثي؟ قال فكأنه تفاءل به ومال إليه بالمضرية، قلت: إن اغتفرت منه خصلة، قال: وما هي؟ قلت: ليست له بخراسان عشيرة من جنودها وإنما يقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها، قال: فأي عشيرة أكثر مني لا أبالك، يا غلام انطلق إلى الكتاب فمرهم بإنشاء عهده وأتوني به فكتب لي عهده.

وإن سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب أرادوا الحج فخرجوا مع الحاج متنكرين حتى أتوا مكة وقد وافاها في ذلك العام إبراهيم بن محمد الإمام فأخبروه بما اجتمع له الناس بخراسان، وقد كانوا

حملوا إليه ما بعثت به إليه الشيعة فقالوا: قد جمعنا إليك مالاً، قال: وكم هو؟ قالوا: عشرة آلاف دينار ومائتا ألف درهم، فقال سلموه إلى مولاي عروة فدفعوه إليه، فقال لهم إبراهيم: إني قد رأيت أن أولي الأمر هناك أبا مسلم لما جربت من عقله وبلوتُ من أمانته وأنا موجهه معكم فاسمعوا له وأطيعوا أمره فإن والدي ـ رحمة الله عليه ـ قد كان وصف لنا صفته وقد رجوت أن يكون هو الذي يسوق لنا الملك فعاونوه وكانفوه وانتهوا إلى رأيه وأمره، قالوا: سمعاً وطاعة لك أيها الإمام. فانصرفوا وأبو مسلم معهم حتى صاروا إلى خراسان، فتشمر أبو مسلم للدعاء وأخذ القوم بالبيعة ووجه كل رجل من أصحابه إلى ناحية من خراسان، فكانوا يدورون بها كورة كورة وبلداً بلداً في زي التجار. فاتبعه عالم من الناس عظيم فواعدهم لظهوره يوماً سماه لهم، وولى على من بايعه في كل كورة رجلاً من أهلها وتقدم إليهم بالاستعداد للخروج في ذلك اليوم الذي سماه لهم حتى أجاب جميع أرض خراسان سهلها وجبلها وأقصاها وأدناها وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أصحابه من قبله واستتب له الأمر على محبته وصار من أعظم الناس منزلاً عند شيعته حتى كانوا يتحالفون به فلا يحنثون ويذكرونه فلا يملون.

(الأخبار الطوال ص ٣٣٤-٣٤٤)